النفق

محمود سالم

النفق

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

النفق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٨٠٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الشياطين ... يصلون إلى احتمال!	١١
ليلة غريبة في فندق الجبل!	١٥
هجوم ... بعد منتصف الليل!	٢١
البحث عن النفق!	٢٥
صراع ... داخل النفق!	٢٩
المعركة الأخيرة!	٣٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الشياطين ... يصلون إلى احتمال!

عندما غادرت الطائرة مطار «روما» في طريقها إلى «كولومبيا»، كان الشياطين في حالة استرخاء كاملة؛ فقد كانت مغامرة «حرب المخدرات» قد أجهدتهم تمامًا. لقد غادر الشياطين؛ «أحمد» و«خالد» و«فهد» و«بو عمير» و«مصباح»، المقر السري، في طريقهم إلى «كولومبيا»، بعد أن شرح لهم رقم «صفر» مهمتهم، وهي البحث عن زعيم المافيا «بوجوتي»، بعد أن اشتعلت حرب «المخدرات» في «كولومبيا»، ثم اختفى «بوجوتي» فجأة، وهو من أكبر زعماء مافيا المخدرات، وكان على طائرة الشياطين أن تتجه مباشرةً إلى «أمريكا اللاتينية»، حيث تقع جمهورية «كولومبيا».

لكن فجأة، والطائرة في الفضاء، ظهر بين الركاب خمسةٌ من إحدى عصابات المافيا، وفجأةً أيضًا أعلنوا أنهم يخطِفون الطائرة، وأمروا قائدها أن يتجه بها إلى «روما»، كانت مفاجأةً أذهلت الشياطين، لكنهم في نفس الوقت كانوا يُدبِّرون خطةً لإنقاذ الطائرة ورُكَّابها، والقبض على أعضاء المافيا.

دارت معركة رهيبة، وكان عليهم أن يدخلوها، وفي نفس الوقت عليهم أن يتصرفوا بحذر لأن الطائرة تحمل عددًا كبيرًا من الركاب، وأي خطأ بسيط يمكن أن يكون قاتلًا. كان أعضاء المافيا مُوزَّعين؛ واحد في كابينة القيادة ليعطي أوامره لطاقم الطائرة، والثاني والثالث في مقدمة الطائرة، والرابع والخامس عند المؤخرة، ورغم ذلك استطاع الشياطين أن يُسيطروا على الموقف، وأن يقبضوا على أفراد العصابة. وكان من الضروري أن تهبط الطائرة في مطار «روما» لتسليم أفراد العصابة إلى السلطات الإيطالية، لكنهم ما كادوا يصلون إلى المطار حتى عرفوا أن هناك طائرةً أخرى مخطوفة، وأنها تقف في جانبٍ من المطار، حيث أُعلنت حالة الطوارئ القصوى؛ فقد أعلن المختطفون للطائرة الأخرى أنهم سوف يفجِّرونها ما لم تحقِّق السلطات الإيطالية رغبتهم في الاتصال بالسلطات

«الكولومبية» لإطلاق سراح زعيمهم. إنها حرب رهيبة، هكذا عرف الشياطين؛ فالعصابات قد انتشرت في كل مكان، وأصبح وجودها لا يهدِّد دولةً واحدة فقط، إنه يهدِّد دول العالم كله.

وبسرعة أجرى «أحمد» اتصالًا برقم «صفر» يشرح له ما حدث، ثم جاءته الأوامر أن يتصل بسلطات المطار حتى يُنسِّق عمل الشياطين معهم. واستطاع الشياطين بخدعة أن يصلوا إلى الطائرة الأخرى، وأن يدخلوا في معركة رهيبة، كانت نتيجتها القضاء على أفراد العصابة الثانية، وقام الشياطين بتسليم من قبضوا عليهم إلى السلطات الإيطالية، ثم تزوَّدت طائرتهم بالوقود، وأخذت طريقها إلى «بوجوتا» عاصمة «كولومبيا»؛ لتحقيق المغامرة التي خرجوا من أجلها. لقد كانت مغامرة «حرب المخدرات» هي التي اعترضت طريقهم، وفرضت نفسها عليهم، أمَّا الآن فإنهم في الطريق إلى مغامرتهم الأصلية. لقد احتاجت المغامرة الأولى جهدًا ضخمًا، وهذا ما جعلهم في حالة الاسترخاء الآن.

نظر «أحمد» إلى «فهد» الجالس بجواره، وهمس: لقد كانت مغامرةً قاسية.

ردَّ «فهد» مبتسمًا: إنها لم تكن مغامرةً واحدة، لقد كانت مغامرتَين معًا.

تنهَّد «أحمد»: إن ما كان يُفزعني هو خوفي على رُكاب الطائرة ونحن في الفضاء.

صمت لحظةً ثم أضاف: لا أدري ماذا حدث في العالم، كأن كل شيء قد أصابه الجنون.

قال «فهد»: إنهم تُجار المخدرات الذين لا يُهمهم إلا تحقيق المكاسب الضخمة، حتى ولو كان ذلك على حساب الناس.

أضاف «أحمد» مبتسمًا: إنهم بشر أشرار، لكن من نوع رديء.

فابتسم «فهد» وسأل: إن اختفاء «بوجوتي» فجأةً مسألة حيَّرتني.

قال «أحمد»: ولماذا الحيرة؟ إنها مسألة طبيعية أن يختفي.

قال «فهد»: كيف اختفى وهم قد حاصَروا القصر الذي يسكنه؟! ولا بد أنك قرأت التقرير.

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: إنني أحفظه عن ظهر قلب، وقد شغلتني طريقة اختفائه، وليس اختفاؤه نفسه، وتوصَّلت إلى عدة احتمالات.

اعتدل «فهد» في مقعده، ونظر إلى «أحمد» ينتظر أن يكمل حديثه.

قال «أحمد»: وهناك أضعف الاحتمالات، وهو أن يكون «بوجوتي» قد تنكَّر في زي رجال الشرطة «الكولومبية»، وفي هذه الحالة يمكن أن يهرب.

قال «فهد»: أظن أنه احتمال ضعيف.

ردَّ «أحمد»: حتى ولو كان ضعيفًا، إلا أنه احتمال قائم.

سأل «فهد»: وبقية الاحتمالات؟

أجاب «أحمد»: أن يكون من بين رجال الشرطة أنفسهم من يتعامل مع عصابة «بوجوتي»، ولقد قرأت أشياء مشابهةً لهذه الحالة.

قال «فهد» في حِدة: هذه كارثة! أن يكون رجال الشرطة أنفسهم في خدمة العصابات!

ردَّ «أحمد»: في الخارج يحدث ذلك كثيرًا، إمَّا بالتهديد، أو بالمال. والتقرير الذي معنا فيه مسائل مخيفة؛ فقد قتلت عصابات المخدرات عددًا كبيرًا من كبار رجال الشرطة.

صمت لحظةً ثم أضاف: على كلٍّ هو مجرَّد احتمال.

ثم أضاف: الاحتمال الثالث أن يكون «بوجوتي» هو أحد رجال الشرطة.

ظهرت الدهشة على وجه «فهد»، فقال «أحمد» مبتسمًا: لا تُدهش. إن عالَم العصابات رهيب فعلًا.

مرَّت لحظة ثم قال: يبقى الاحتمال الأخير وهو أن يكون «بوجوتي» قد أعدَّ نفقًا سريًّا في مكان ما لاستخدامه عند الضرورة كما حدث.

استغرق «فهد» في التفكير لحظةً ثم قال: هذا احتمال قوي.

أضاف «أحمد»: في هذه الحالة يكون علينا أن نصل إلى القصر، وأن ندخله، وأن نبحث فيه جيدًا؛ للوصول إلى الباب السري للنفق.

قال «فهد» شاردًا: هذا صحيح.

أكمل «أحمد»: فإذا كان هذا الاحتمال صحيحًا، فإن المرور في النفق إلى نهايته يمكن أن يحدِّد لنا أين يمكن أن يختفي «بوجوتي»، أو إلى أين يمكن أن يتجه.

ردَّ «فهد»: هذا صحيح أيضًا.

ابتسم «أحمد» وقال: إن إحساسي يقول إن هذا هو الاحتمال الصحيح.

همس «فهد»: أرجو أن يكون صحيحًا.

استغرق «فهد» في أفكاره. كان «أحمد» يراقبه وهو يُخفي ابتسامة؛ فهو يعرف أن «فهد» لن يترك المسألة تمر عند هذا الحد من حدود المناقشة فقط؛ سوف يُقلِّب الاحتمال من شتَّى جوانبه ليصل معه إلى حالةٍ من الوضوح الكامل. كانت ملامح «فهد» تنفعل فعلًا وتتغيَّر، فقال «أحمد» في نفسه: إن «فهد» سوف يضيف إلى أفكاري أفكارًا جديدة، وهو قادر على ذلك.

فجأةً نظر «فهد» إلى «أحمد» الذي ابتسم وقال: إن هناك احتمالًا مُكملًا لاحتمال وجود نفق سري.

سأل «أحمد»: ما هو؟

قال «فهد»: من الممكن أن يكون «بوجوتي» حتى الآن في مكان ما داخل النفق، ومن يدري؟ قد تكون هناك حياة كاملة داخل النفق أو عند نهايته أو حتى منتصفه.

أبدى «أحمد» إعجابه وهو يقول: احتمال رائع! خصوصًا وأن «بوجوتي» سوف يفكر ألف مرة قبل أن يظهر على سطح الأرض؛ لأنه يعرف أن حكومة «كولومبيا» قد أعلنت الحرب على عصابات المخدرات، بل إنها استعانت بأمريكا حتى تستطيع أن تقضي على هذه القوى الشريرة.

ابتسم «فهد» وقال: أعتقد أنه احتمال جيد، وأعتقد أن مغامرتنا سوف تكون تحت سطح الأرض.

قال «أحمد»: هذه ليست أول مرة نقوم بمغامرة تحت سطح الأرض، لكنها في النهاية سوف تكون مغامرةً جيدة.

مرَّت لحظات ثم قال «فهد»: ينبغي أن يفكر الشياطين معنا؛ فربما أضافوا شيئًا جديدًا.

قال «أحمد»: بل إنهم سوف يضيفون، خصوصًا في مرحلة التنفيذ.

تحرَّك «فهد» من مقعده وهو يقول: إذن، سوف أنقل لهم الاقتراح.

في الوقت الذي تحرَّك فيه «فهد» كان «خالد» يقترب مبتسمًا، فقال «أحمد»: ينبغي أن تنتظر؛ فمن الضروري أن يكون «خالد» قد جاء بشيء هام.

جلس «فهد» مكانه مرةً أخرى، ووصل «خالد» إليهما. نظر إلى «أحمد» مبتسمًا ثم قال: لقد توصَّلنا إلى احتمال.

سأل «أحمد»: ما هو؟

قال «خالد»: أن يكون هناك نفق.

وقبل أن يُكمل كلامه انفجر «أحمد» و«فهد» ضاحكَين. ظهرت الدهشة على وجه «خالد»، لكنه ابتسم بسرعة، وأضاف: لا بد أنكما توصَّلتما إلى نفس الاحتمال.

قال «أحمد» مبتسمًا: نعم ... مع مزيد من التفاصيل.

قطع حديثَهم صوتُ مذيع الطائرة يقول: أرجو أن تربطوا الأحزمة؛ فقد اقتربنا من مطار «بوجوتا».

التفَّت أيدي الشياطين الثلاثة تشد على بعضها؛ فقد أثبتوا أنهم يتحركون ويفكرون بإحساس واحد.

ليلة غريبة في فندق الجبل!

عندما كانت الطائرة تهبط في مطار «بوجوتا» كان الليل قد انتصف، وكانت أضواء المطار تلمع وسط ظُلمة الليل. هبط الركاب وخلفهم كان الشياطين ينزلون السلم في هدوء. لفت أنظارهم أن المطار يخضع لحراسة مُشدَّدة، وأن بعض عربات الإسعاف والمطافئ تقف في جانبٍ من المطار.

همس «أحمد»: يبدو أن الحرب في «بوجوتا» ساخنة تمامًا.

وصلوا قاعة الانتظار. اقترب واحد من «أحمد» وهمس بكلمة: صفر.

ابتسم «أحمد» فقد عرف أنه عميل رقم «صفر» أو شخص يمثِّله. كان الرجل قد قال الكلمة واستمرَّ في طريقه. نظر «أحمد» إلى الشياطين ونقل لهم ما حدث. استمروا في طريقهم خلف الرجل حتى خرجوا من المطار. كانت هناك سيارة سوداء تقف أمامهم مباشرة، في نفس الوقت استقلَّ الرجل تاكسيًا وانصرف.

فهِم الشياطين إشارةً أشارها الرجل قبل أن يركب التاكسي، فاتجهوا إلى السيارة السوداء مباشرة. فتح «فهد» الباب الأمامي، فوجد المفاتيح في مكانها. أدار الموتور، بينما كان بقية الشياطين يأخذون أماكنهم، وعندما أغلق «خالد» آخر أبواب السيارة. جاء صوت يقول: مرحبًا بكم في «بوجوتا». إن بوصلة السيارة سوف تقودكم إلى فندق «الجبل» حيث تنزلون الليلة. لاحظوا أن المدينة في حالة طوارئ؛ ولهذا فإن المرور في الشوارع يحتاج إلى تصريح خاص، والتصريح موجود في التابلوه.

أسرع «أحمد» بفتح التابلوه، فوجد بطاقةً خضراء مكتوب عليها «مرور». كان الصوت قد سكت، وكأنه ينتظر وصولهم للبطاقة.

مرةً أخرى جاء الصوت يقول: إن الموجة التي سنتحدث عليها هي الموجة القصيرة «ن»، وهي موجة لا يمكن التقاطها؛ فالموقف في المدينة صعب جدًّا، والعصابات تسجِّل كل شيء.

صمت مرةً أخرى ثم قال: سوف نتحدث غدًا بعد أن تكونوا قد نِلتم قسطًا من الراحة.

انتظر لحظة ثم أضاف: أتمنى لكم نومًا هادئًا وسط مدينتنا التي أصبحت مزعجةً تمامًا.

ثم اختفى الصوت. قال «أحمد»: إنها حقًّا مدينة مزعجة.

فجأةً لمع ضوء قوي أمامهم جعلهم يُغمضون أعينهم ويضعون أيديهم فوقها. قال «خالد» وهو مغمض العينَين: يبدو أنها نقطة تفتيش، وينبغي تقديم البطاقة الخضراء بسرعة.

توقَّفت السيارة فعلًا عند نقطة تفتيش. كان الضوء قد اختفى. أبرز «أحمد» البطاقة الخضراء، فرفع الشرطي يده بالتحية في عسكرية لفتت أنظارهم وهو يقول: معذرة؛ فالمرور في الليل ممنوع.

رفع «أحمد» يده بالتحية، واستمرت السيارة في طريقها، عندما ابتعدوا قليلًا انفجر «بو عمير» في الضحك وهو يقول: عندما رفع يده بالتحية تصوَّرت أنه سوف يرمي علينا قنبلةً يدوية.

وضحكوا جميعًا. وقال «مصباح»: أتصوَّر أن هذه البطاقة الخضراء لها معنًى خاص، وإلا ما كانت هذه التحية الحارة.

أضاف «فهد»: لهذا يجب أن نعرف حتى لا نقع في مشكلة.

رفع «أحمد» سماعة التليفون في تابلوه السيارة، فجاءه صوت عميل رقم «صفر» مباشرة: مرحبًا. أظن أن شيئًا ما قد حدث.

ردَّ «أحمد»: ما معنى البطاقة الخضراء؟

ضحك العميل ضحكةً صغيرة جعلت «أحمد» يبتسم، وقال العميل: البطاقة الخضراء لا يحملها سوى الديبلوماسيين فقط.

ثم أضاف: سوف يَلقَونكم دائمًا بالتحية، فأرجو ألَّا تنزعجوا.

وانتهت المكالمة. نظر «أحمد» إلى المدينة التي تبدو وكأنها مدينة أشباح، وقال: الإضاءة هنا خافتة جدًّا، بل تكاد تكون منعدمة.

أضاف «خالد»: وسط هذه الحرب الساخنة مع مافيا المخدرات، لا بد أن تلجأ السلطات إلى ذلك.

فجأة، تردَّد صوت عدد من طلقات الرصاص. نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «بو عمير»: أظن أنها مسألة طبيعية وسط هذا الجو الغريب.

استمرت سيارة الشياطين في طريقها، ولمعت من بعيد بعض الأضواء، فعلَّق «خالد»: لا بد أنها نقطة تفتيش أخرى، ومن المؤكد أننا سوف نلقاها كثيرًا في الطريق إلى المدينة.

لمع ضوء قوي غطَّى السيارة كلها، فعرف الشياطين أنها نقطة تفتيش عندما وصلت إليها. السيارة توقفت، وأخرج «أحمد» الكارت الأخضر، فرفع الجندي يده بالتحية، ومن جديد، استمرت السيارة في طريقها. كان مطار «بوجوتا» يبعد عن المدينة حوالي خمسين كيلومترًا، ولَّما كانت نقط التفتيش كثيرة، فقد كان من الضروري أن يسير «فهد» ببطء؛ ولذلك استغرقت المسافة بعض الوقت. أخيرًا ... ظهرت المدينة. كانت هادئةً تمامًا، وكانت الإضاءة فيها خافتة، ولم يكن أحد يمشي في الشوارع.

قال «بو عمير»: أظن أن السبب هو تأخر الوقت؛ فنحن نقترب من الواحدة صباحًا.

ردَّ «أحمد»: هذه وجهة نظر صحيحة؛ فإذا أضفنا إليها حالة الطوارئ التي تعيشها المدينة، فإن الأمور تكون طبيعية.

اقتربت السيارة من نقطة تفتيش أخرى تقف في منتصف الطريق الذي يؤدي إلى فندق «الجبل». أخرج «أحمد» الكارت الأخضر، فارتفعت يد الجندي بالتحية. ابتسم «أحمد» وهو يرد التحية، ثم استمرت السيارة في طريقها إلى حيث ظهرت لافتة مُضاءة عليها «فندق الجبل».

اتجه «فهد» إلى الفندق، ثم أخذ طريقه إلى ساحة الانتظار. فجأة، ظهر في قلب الليل شرطي وقال: هل أنتم نزلاء في الفندق؟

فتح «أحمد» الباب وهو يمسك البطاقة الخضراء في يده، وقال: لقد وصلنا توًّا من المطار.

ثم قدَّم له البطاقة الخضراء. وفي نشاط أدى الشرطي التحية العسكرية، فابتسم «أحمد» وهو يردُّها. انضم الشياطين إليه وأخذوا طريقهم إلى داخل الفندق. كانت الصالة الواسعة خاليةً تمامًا، ولم يكن يقف فيها سوى موظف الاستقبال. اتجه إليه «بو عمير»، بينما وقف الشياطين يراقبون المكان.

غاب «بو عمير» فتساءل «فهد»: يبدو أن هناك مشكلة!

ردَّ «أحمد»: لا أظن. ومن الضروري أن تكون هناك إجراءات أكثر شدةً وسط هذا الجو المخيف.

عاد «بو عمير» بعد قليل، وقال: إن الإجراءات صعبة هنا.

ثم أخذوا طريقهم إلى الدور الرابع، حيث تقع غرفهم جميعًا. عندما وضع «أحمد» مفتاحه في الباب وقال: الليلة سوف ننام نومًا طويلًا؛ فغدًا لا نعرف متى يمكن أن ننام مرةً أخرى.

ابتسم الشياطين وهم يتمنَّون أن يناموا نومًا هادئًا.

أغلق «أحمد» باب غرفته فوجد عدة تعليمات معلقةً خلف الباب. كانت التعليمات تقول: لا تفتح الباب لأي طارق. أغلق الباب بالمفتاح. إذا طلبك أحد بالتليفون يجب الاتصال بأمن الفندق. إذا حضر أحد موظفي الفندق أو عُمَّاله، فاطلب بطاقته التي تدل عليه. إذا حدث شيء فاضغط الزر الموجود عند طرف السرير.

قرأ «أحمد» التعليمات، ثم قال لنفسه في دهشة: إنها تعليمات تُثير الرعب.

فكَّر لحظةً ثم قال في نفسه: يجب أن يعرف الشياطين؛ فربما لم تلفت اللافتة نظر أحد منهم، وإذا كانت هذه تعليمات الفندق، فهذا يعني أن النزلاء مُعرَّضون للمفاجآت.

أسرع إلى التليفون وتحدَّث إلى «خالد»: هل قرأت التعليمات خلف الباب؟

ردَّ «خالد»: نعم، والشياطين أيضًا فعلوا ذلك.

قال «أحمد»: يبدو أن الحياة ليست آمنةً في «بوجوتا»، ما دامت فنادق الدرجة الأولى لها هذه التعليمات.

جاء صوت «خالد» يقول: يبدو هذا، وأرجو ألَّا يزعجني شيء؛ فأنا في حاجة إلى النوم فعلًا.

تبادلا التحية، وأغلق كلٌّ منهما تليفونه. أسرع «أحمد» إلى الحمام وأخذ دشًّا ساخنًا، ثم أسرع إلى السرير وألقى نفسه عليه. كان يشعر بالإجهاد، ومع ذلك لم يستطع النوم. كان عقله نشطًا جدًّا. قال في نفسه: إن فرصة النوم الليلة هي الفرصة الأخيرة قبل أن نبدأ المغامرة.

أخذ يؤدي بعض التمارين النفسية حتى غرق في النوم، لكن لم يمضِ وقت طويل، حتى أيقظه صوت طرقات على الباب. قفز من السرير إلى الباب مباشرةً حتى وقف خلفه، وسأل: من يطرق الباب؟

لكن أحدًا لم يرد. انتظر لحظةً فلم يسمع صوتًا. فكَّر قليلًا: تُرى من يكون؟! وهل يمكن أن يتعرض الشياطين للهجوم؟

فجأة، رنَّ جرس التليفون. قال في نفسه: هل هو أحد الشياطين؟ وهل تكون دقات الباب قد تكرَّرت مع أحد غيره؟ كان جرس التليفون لا يزال يرن. أسرع إليه ورفع السماعة، سأل: من يتحدث؟

لكن أحدًا لم يجِبه. وضع السماعة فرَنَّ الجرس مرةً أخرى. انتظر لحظةً ورنين التليفون يتردد. رفع السماعة فجأةً لكنه لم يسمع صوتًا. وضع السماعة وانتظر. كان يشعر أن شيئًا ما سوف يحدث. ظلَّ واقفًا في منتصف المسافة بين التليفون والباب. فكَّر: هل يحدث هذا مع الشياطين؟ وهل يتحدث إلى أحد منهم؟ لكنه لم يفعل. قال في نفسه: لو أن شيئًا قد حدث مع أي منهم فمن المؤكد أنه قد اتصل بي، وما دام أحد لم يتصل، فإنه وحده هو المقصود!

ظلَّ في مكانه يفكر، لكنه لم يصل إلى حل.

فجأةً ترددت طرقات على الباب. تقدم إليه في هدوء حتى وقف خلفه. كان يفكر: ماذا يفعل الآن؟ فتح الباب فجأة، ووجد نفسه وجهًا لوجه مع ملامح لم يرَها من قبل.

هجوم ... بعد منتصف الليل!

كان وجه الرجل يبدو شاحبًا ومضطربًا. ظلَّ «أحمد» ينظر إليه في انتظار أن يقول شيئًا بعد دقائق، قال: سيدي ...

ثم سقط على الأرض. أسرع «أحمد» إليه وانحنى فوقه. فجأةً شعر بشيء ثقيل يهبط عليه. دارت الدنيا حوله للحظات سريعة قبل أن يستردَّ وعيه، لكنه ترك نفسه يسقط على الأرض، في نفس الوقت كان يرى من بين أطراف عينَيه ذلك الرجل المضطرب وقد وقف كأنه عملاق، وبجواره كان يقف رجل آخر. تبادلا كلمات هامسةً لم يسمعها، لكنه كان قد اتخذ قراره. كان الاثنان يقفان عند قدمَيه في حركة سريعة ضربهما معًا، ثم قام واقفًا قبل أن يفيقا من المفاجأة. كان قد طار في الهواء وضرب أقربهما إليه ضربةً قوية جعلته يتراجع بشدة ثم يصطدم بالحائط، في نفس الوقت، كان الآخر يحاول الفرار إلا أن «أحمد» استطاع أن يلحق به في قفزات سريعة. وقف الرجل فجأةً ثم دار حول نفسه وهو يوجه لـ «أحمد» ضربةً مفاجئة، إلا أن «أحمد» كان يقظًا، فتلقاه بيده وأمسك بقدمَيه معًا، فطار الرجل في الهواء، ثم وقع بلا حراك.

نظر «أحمد» بسرعة إلى الرجل الآخر فلم يجده. فكَّر قليلًا، ثم سحب الرجل حتى غرفته، واتصل بأمن الفندق ... في دقائق كان رجال الأمن أمامه. قال له ضابط الأمن: كان يجب أن تتبع التعليمات ولا تفتح الباب.

ردَّ «أحمد»: كيف؟ لقد طرق الباب أكثر من مرة!

قال الضابط: في هذا الوقت المتأخر من الليل كان ينبغي أن تشك في طرقات الباب.

هزَّ «أحمد» رأسه، ثم قال: كان هناك اتصال تليفوني أيضًا.

سأل الضابط: هل تحدَّث إليك أحد.

قال «أحمد»: لم أسمع صوتًا. كان رنين الجرس فقط هو الذي يتردد، وكلما رفعت السماعة لا أسمع صوت أحد.

مرَّت لحظة قبل أن يقول الضابط: سوف نعرف ونخبرك.

ثم أمر رجاله بحمل الرجل وانصرفوا، لكن بعد خطوة توقف الضابط وقال يخاطب «أحمد»: أرجو ألَّا تفتح الباب قبل الاتصال بنا؛ فنحن نعيش أيامًا قاسية.

شكره «أحمد» ثم دخل غرفته. كان السؤال الذي يتردَّد في خاطره: ماذا كانا يريدان مني؟ ألقى نفسه على السرير، ثم أخذ يستعيد ما حدث حتى وصول الضابط. فجأةً قفز جالسًا. لقد تذكر أن ملامح أحد رجال الأمن تكاد تكون هي ملامح الرجل الذي هرب. قال في نفسه: هل يمكن أن يكون رجال الأمن من بين أفراد العصابات؟!

أجاب بينه وبين نفسه: في عالم العصابات كل شيء ممكن.

تمدَّد مرةً أخرى في فراشه. فجأةً رنَّ جرس التليفون. انتظر وهو يقول لنفسه: هل تتكرر الحكاية مرةً أخرى؟

ظلَّ رنين جرس التليفون يتردَّد. قفز من السرير واتجه إليه. رفع السماعة فجاء صوت «خالد» يقول: يبدو أن شيئًا ما قد حدث.

سأل «أحمد»: أين؟

قال «خالد»: لقد سمعت ضجةً منذ قليل، وكنت بين اليقظة والنوم.

ابتسم «أحمد» وهو يرد: كان ينبغي أن تُسرع لتعرف.

قال «خالد»: إن تعليمات أمن الفندق تقول غير ذلك، وينبغي اتباعها؛ فالأمن يعرف بالتأكيد ما يدور.

ابتسم «أحمد» مرةً أخرى وقال: هذا صحيح، لكن أحدنا لم يُنفِّذ تعليمات رجال الأمن.

جاء صوت «خالد» مندهشًا: ماذا تعني؟!

ضحك «أحمد»، فقال «خالد»: لعلك أنت. وماذا حدث؟ حكى «أحمد» ما حدث له، فقال «خالد»: نحن فعلًا في مدينةٍ تسيطر عليها العصابات!

تنهَّد «أحمد» وقال: يبدو مع الأسف أنها حقيقة.

انتظر لحظةً ثم أضاف: ينبغي أن نُكمل نومنا؛ فالغد مشحون، وهذه المقدمات تقول إننا سوف نُفاجأ بأشياء لم تكن في حسابنا.

تمنَّى له «خالد» نومًا هادئًا. عاد «أحمد» إلى فراشه، وخلال دقائق كان قد استغرق في النوم؛ فقد كان يشعر بإجهادٍ شديد.

في السابعة صباحًا أيقظه رنين جرس التليفون. قفز إليه بسرعة ورفع السماعة، فجاء صوت «بو عمير» ضاحكًا: لقد نمت جيدًا هذه الليلة. يبدو أنك متعب.

ابتسم «أحمد» وقال: لعلني أقلُّكم نومًا.

سأل «بو عمير»: هل تعرف كم الساعة الآن؟

ردَّ «أحمد»: إنها السابعة، ومع ذلك لم أَنَم جيدًا، وعندما نلتقي سوف تعرف السبب.

بسرعة أخذ «أحمد» حمامًا باردًا وهو يقول لنفسه: لعله يوقظني.

وبسرعة أيضًا ارتدى ثيابه، ثم أخذ طريقه إلى المطعم. كان الشياطين كلهم هناك. فجأةً تذكر «أحمد» رجال الأمن، فغيَّر طريقه واتجه إلى مكتب الأمن، وعندما ألقى تحية الصباح على الضابط الموجود لم يكن هو نفسه ضابط الأمن الذي كان موجودًا من قبل.

قال «أحمد»: لعل نَوبة الحراسة قد تغيَّرت.

ابتسم الضابط وقال: نعم، ومع ذلك فأنا في خدمتك.

قال «أحمد» في هدوء: شكرًا لك.

فكَّر لحظةً سريعة، وقبل أن ينطق بكلمة قال الضابط مبتسمًا: إن التحقيقات لا تزال مستمرة، والرجل المصاب لم يُفِق بعد، وربما عندما يُفيق نستطيع أن نعرف سبب هجوم الأمس.

مرَّت لحظة ثم أضاف الضابط: أرجو أن تطمئن؛ فرجال الأمن في المدينة يقظون تمامًا.

ابتسم «أحمد» وقال: أرجو هذا.

ثم حيَّا الضابطَ وانصرف، لكنه ظلَّ يقول في نفسه: يبدو أن هناك اتفاقًا غير مفهوم؛ فكيف عرفني الضابط دون أن أتحدث؟!

عندما وصل إلى الشياطين كانوا قد طلبوا الإفطار وبدءوا يأكلون. حكى لهم «أحمد» ما حدث له أمس. قال «بو عمير»: لهذا السبب لم تنَم؟

قال «فهد»: هذا يعني أن هناك عيونًا ترقبنا.

تساءل «أحمد»: لماذا؟ وما الذي يجعلهم يشكون فينا؟

مرَّت لحظات. كان «أحمد» يمضغ لقمةً في سندويتش، بينما الشياطين قد استغرقوا في التفكير والبحث عن إجابة السؤال: لماذا؟

قال «مصباح» فجأة: ألم يفكِّر أحدكم في البطاقة الخضراء؟

توقَّف «أحمد» عن الطعام ونظر إلى «مصباح» قائلًا: إن هذا استنتاج مثير!

أضاف «مصباح»: إن الفندق يعرف أننا نحمل ما يفيد بأننا دبلوماسيون، وهذه مسألة لافتة للنظر، وبجوار أنك أمس أخرجت البطاقة لشرطي الحراسة في مكان انتظار السيارات، وما دامت العيون هنا ترصد كل شيء، فلا بأس من اكتشافنا.

تساءل «خالد»: إنني أسأل نفس سؤال «أحمد» مرةً أخرى: لماذا؟

قال «مصباح»: اسمحوا لي أن أشرح وجهة نظري.

كانوا جميعًا يُنصتون إليه، حتى «أحمد» ترك الطعام واستغرق معهم في الاهتمام بما يثيره «مصباح» من أفكار جديدة. قال «مصباح»: إذا كانت طائرتنا قد تعرَّضت للاختطاف في مغامرة «حرب المخدرات»، وإذا كُنا عندما وصلنا إلى «روما» قد وجدنا طائرةً أخرى مخطوفة؛ إذن فعمليات الخطف هي السائدة الآن. وإذا كانت الحكومة «الكولومبية» قد أعلنت الحرب على عصابات المافيا، فما المانع أن نكون نحن الهدف؟ خاصةً وأننا قد ظهرنا بمظهر رجال السلك الدبلوماسي، وبذلك نكون معرَّضين للخطف؛ فخطف واحد، أو اثنَين، أو حتى خطفنا جميعًا، يمكن أن يكون رهينةً طيبة يمكن أن تساوِم بها إحدى العصابات.

نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «فهد»: إنه احتمال قائم.

فردَّ «مصباح»: بل إنه احتمال قوي، وإلا فما معنى ما حدث لـ «أحمد»؟ ... خصوصًا وأنه هو الذي يحمل البطاقة الخضراء.

مرَّت لحظة صمت، ثم بدأ «أحمد» يقضم لقمةً أخرى، ثم قال: إنني أُوافق تمامًا على وجهة نظر «مصباح»؛ فليس هناك تفسير آخر. ومن الصعب أن يكون ما حدث ليلة أمس مجرَّد صدفة، أو مجرَّد مغامرة. إن ما حدث يؤكد شكِّي في أن رجال الأمن في الفندق منهم من يعمل مع إحدى العصابات.

أنهى «أحمد» طعامه، ثم قال: ينبغي أن نتحرك الآن قبل أن نتعرض لأي هجوم يفسد مغامرتنا.

وخرج الشياطين من فندق «الجبل» إلى ساحة انتظار السيارات لتبدأ أولى خطواتهم في المغامرة الجديدة.

البحث عن النفق!

عندما أغلق «فهد» باب السيارة، جاء صوت عميل رقم «صفر» يُلقي إليهم بتحية الصباح، ثم قال: هل حدث شيء أمس؟

أجاب «أحمد»: نعم.

ثم حكى له باختصار ما حدث، فقال العميل: هذا أمر متوقع على كل حال.

صمت لحظةً ثم سأل: ما هي خطتكم الآن؟

ردَّ «أحمد»: دخول قصر «بوجوتي».

مرَّت لحظة صمت، ثم جاء صوت العميل يتساءل: لماذا؟

أجاب «أحمد»: إنها خطتنا.

قال العميل: إن القصر خالٍ الآن بعد أن استولت الحكومة عليه، وهو محاط بحراسة مشددة.

ردَّ «أحمد»: إنها خطتنا على كل حال، وهي تحتاج إلى التنفيذ في هدوء حتى لا نلفت نظر أحد؛ فالمؤكد أن هناك عيونًا للمافيا ترصد الآن كل شيء.

مرةً أخرى مرَّت لحظة صمت، ثم قال العميل: سوف أتصل بكم بعد ربع ساعة.

وضع «أحمد» سماعة التليفون، فقال «فهد»: واضح أن احتمال وجود نفق في القصر لم يخطر على بال الحكومة.

ابتسم «أحمد» وقال: إنه احتمال بعيد، ونرجو ألَّا يخيب ظننا فيه.

كان «خالد» يقود السيارة في بطء. أخرج «أحمد» خريطةً صغيرة للمدينة، ثم بسطها فوق رجلَيه، وأخذ يحدِّد الطرق التي يجب أن يمشوا فيها. وقف إصبعه عند قصر «بوجوتي» وقال: إن بيننا وبين القصر حوالي ثلاثة كيلومترات. ينبغي أن نقطعها على مهل حتى يأتينا رد العميل.

فجأةً جاء صوت العميل يقول: الآن تستطيعون الذهاب إلى هناك، وما دمتم تريدون الدخول دون لفت نظر أحد، فأمامكم، وعلى بعد كيلومتر واحد، مقر للشرطة. عليكم بالتوجه إليه والسؤال عن السيد «خوسيه»، وسوف يقدم لكم ملابس رجال الشرطة حتى لا يلفت دخولكم أو وجودكم نظر أحد.

شكره «أحمد»، وبسرعة ضغط «خالد» بدَّال البنزين، فانطلقت السيارة بسرعة.

علَّق «مصباح»: إن هذه الاستجابة السريعة لمطالبنا يعني أن الشرطة تريد «بوجوتي» بأي شكل.

مرَّت خمس دقائق كانت سيارة الشياطين خلالها قد وصلت إلى مقر الشرطة. نزل الشياطين في هدوء وأخذوا طريقهم إلى المقر. اعترضهم أحد رجال الشرطة، وسألهم: ماذا تريدون؟

أجاب «أحمد»: نريد السيد «خوسيه»!

أدَّى رجال الشرطة تحيةً عسكرية حماسية، ثم قال مبتسمًا: إنه في انتظاركم.

ثم تقدمهم في خطوة نشطة إلى داخل المقر، وعند أول مكتب على اليمين قرأ الشياطين لافتةً مكتوب عليها: القيادة.

اختفى الشرطي داخل المكتب، ولم تمرَّ لحظة حتى جاء صوت قوي يقول: مرحبًا بكم.

ثم ظهر رجل قوي البنية، له شارب ضخم، وقال مبتسمًا: إنني «خوسيه».

حيَّاه الشياطين، فدعاهم إلى داخل المكتب، واستمرَّ في الترحيب بهم، ثم سأل مبتسمًا: هل تشربون القهوة؟

ردَّ «أحمد»: يمكن أن نشرب قهوةً باللبن.

ثم أضاف بسرعة: لكننا نتمنَّى أن ننتهي من مهمتنا أولًا.

ابتسم «خوسيه» وقال: لا بأس أثناء تجهيز القهوة يكون كلٌّ منكم قد أبدل ثيابه.

ثم أمر «خوسيه» بإحضار القهوة، وعندما اختفى الشخص المكلَّف بإحضارها قال للشياطين: الآن يمكن أن تنتهوا من مهمتكم.

ثم أشار إلى باب جانبي وقال: ما تحتاجونه موجود في الداخل.

دخل الشياطين الغرفة الجانبية، وبعد دقائق خرجوا وقد لبسوا ملابس الشرطة «الكولومبية».

نظر إليهم «خوسيه» ثم ضحك قائلًا: الآن يمكن أن أتعامل معكم بطريقة عسكرية.

ابتسم «أحمد» وقال: ينبغي ألَّا يرانا أحد.

قال «خوسيه»: أفهم ذلك، وسوف تخرجون من باب آخر.

ثم أضاف بسرعة: سوف تذهبون إلى قصر «بوجوتي» في سيارة شرطة، وكأن نوبتكم في الحراسة قد بدأت.

قال «أحمد» مبتسمًا: هذا شيء طيب.

جاء أحدهم بالقهوة، فاحتسَوها بسرعة بالرغم من أنها كانت ساخنةً تمامًا، ثم استأذنوا في الانصراف. حيَّاهم «خوسيه» ثم تقدمهم إلى نفس الغرفة الداخلية، ومنها فتح بابًا فظهرت حديقة صغيرة. وأمام الباب كانت تقف سيارة شرطة اتجهوا إليها، وعندما ركبوا أشاروا لـ «خوسيه» بالتحية، ثم انطلقت السيارة. بعد ربع ساعة كانت السيارة تدخل حديقة قصر «بوجوتي». قفز الشياطين من السيارة بسرعة، ووقفوا صفًّا واحدًا يتقدمهم «أحمد» وكأنهم يقومون بعمل عسكري. كان القصر مبنيًّا على طراز فن القصور القديمة، يتوسطه حديقة واسعة جميلة، ويكاد القصر أن يختفي بين الأشجار. تقدم «أحمد» خطوةً للأمام ثم قال: إلى اليمين دُر.

ثم ساروا بخطوة عسكرية نشطة حتى باب القصر، الذي انفتح بمجرد وصولهم إليه. لفتت هذه الحركة نظر «أحمد»، لكنه استمرَّ في تقدمه حتى دخلوا القصر. وما كاد آخر واحد فيهم يدخل حتى أغلق الباب مرةً أخرى. توقفوا، ولم يكن أحد موجودًا!

قال «أحمد» بلغة الشياطين: ينبغي أن نتحدث بلغتنا؛ فالأمور هنا فيها بعض الغموض.

ردَّ «بو عمير»: إن فتح الباب وإغلاقه دون أن يكون هناك أحد، مسألة مثيرة للشك فعلًا.

قال «أحمد»: لا نريد أن نضيع وقتًا في استنتاجات الآن. إن علينا أن نسرع بالبحث عن مدخل النفق إذا كان موجودًا.

ثم أضاف بعد لحظة: سوف نتخلَّص من هذه الملابس الآن ونتفرق، كلٌّ يحاول أن يجد المدخل، على أن نكون على اتصال دائم.

بسرعة تخلَّص الشياطين من ملابس الشرطة، وكانوا يلبسون ملابسهم العادية تحتها ... وتفرَّق كلٌّ منهم في اتجاه. كانت الصالة التي يقفون فيها واسعةً تمامًا، وحولها يقع عدد من الأبواب. أسرع الشياطين كل واحد إلى باب فتحه واختفى داخله.

أمَّا «أحمد» فقد ظلَّ واقفًا لحظة. كان يفكر: إن المدخل من الضروري أن يكون في الدور الأول؛ ولذلك فإن بحثنا يجب أن يكون في هذا الدور.

أخذ يبحث في أرضية الصالة التي كانت من خشب الباركيه. كانت عبارةً عن قطع من الخشب تتزاوج في شكل جميل؛ تبدأ في شكل مربع كبير، ثم يضيق المربع إلى آخر أصغر منه، ثم أصغر فأصغر، حتى ينتهي عند دائرة تتوسط الصالة تمامًا. ذهب «أحمد» إلى مركز الصالة حيث دائرة خشب الباركيه. أخذ يجس الدائرة بقدمَيه ويضغط في كل اتجاه، ثم جلس على الأرض وأخرج خنجره وأخذ يدق به على القطع الخشبية الصغيرة، لكنه لم يجد شيئًا. فكَّر قليلًا ثم قال لنفسه: من الضروري أن يكون مدخل النفق في مكان لا يلفت النظر.

وقف ثم نظر إلى الأبواب المفتوحة حيث دخل. اتجه إلى باب مغلق ثم فتحه، فوجد غرفة المطبخ. قال في نفسه: يمكن أن يكون مدخل النفق هنا.

دخل فوجد كل شيء في المطبخ منظَّمًا ونظيفًا. كان يضم بوتاجازًا يعمل بالكهرباء، وثلاجةً ضخمة. نظر إلى الثلاجة قليلًا، ثم اتجه إليها وهو يقول لنفسه: يمكن أن يكون المدخل أسفلها.

وقبل أن يمد يده إليها قال في نفسه: من المنطقي أن يكون المدخل في غرفة المكتب، أو الصالون، أو النوم؛ ففي هذه الأماكن الثلاثة يوجد دائمًا من يريد الاختفاء.

انتظر لحظة، ثم قال لنفسه مرةً أخرى: من الصعب أن يوجد المدخل في مكان بعيد يحتاج لبعض الوقت في الوصول إليه. وبسرعة خرج من المطبخ إلى الصالة وبدأ يفتح الأبواب ليحدِّد في أيها يمكن أن يبدأ البحث. فتح أول باب فكان غرفة المكتب. دخل بسرعة. كانت الستائر مسدلة، حتى إن الأشياء في الغرفة كانت تظهر بصعوبة. فكَّر أن يضيء النور، لكنه تراجع. أخرج من جيبه بطاريةً صغيرة وبدأ البحث. دار في أركان الغرفة، وحرَّك كل قطع الأثاث، لكنه لم يجد شيئًا. وقف يرقب الغرفة بعين فاحصة، ثم أخذ طريقه إلى المكتب وجلس خلفه. ظلَّ يفحص المكتب والأدراج لكن لا شيء. وقف ليخرج من وراء المكتب. فجأةً تجمَّد في مكانه فقد تحرَّك المكتب إلى الأمام وحده، ثم ظهرت فتحة أسفل. وقف ينظر إليها لحظةً وهو لا يصدق نفسه. نزل إلى الأرض وبدأ يتحسس الأرضية حول المساحة التي كان المكتب يغطيها. اصطدمت يده ببروز صغير. ضغط عليه فتراجع المكتب وعاد إلى مكانه. تنفس في ارتياح ثم جلس على المقعد. لقد جاءت توقعاته كلها سليمة.

أخرج جهاز الإرسال وأرسل رسالةً شفرية إلى الشياطين لينضموا إليه، وفي دقائق كانوا يدخلون جميعًا وعلى وجوههم تساؤل: ماذا حدث؟

وعندما أخبرهم باكتشافه توقفوا جامدين؛ فقد كان اكتشاف مدخل النفق مفاجأةً حقيقية للجميع.

صراع ... داخل النفق!

لم يضيِّع الشياطين وقتًا. ضغط «أحمد» على البروز في الأرضية، فتحرك المكتب وظهرت فتحة النفق. نظر إليها الشياطين في دهشة، وقال «مصباح»: إنها مسألة مثيرة، خصوصًا عندما تتم بهذه الطريقة؛ فهو يستطيع في لحظة أن يكون داخل النفق دون أن يلفت النظر.

قال «خالد»: المهم هو إلى أين يتجه النفق؛ قد تكون نهايته في مبنًى آخر، ومنه يمكن أن يخرج ويختفي في المدينة كلها.

ردَّ «أحمد»: إن ذلك سوف يظهر الآن.

نزل «أحمد» وتبعه الشياطين. كانت فتحة النفق تؤدي إلى سلم صغير نزل درجاته بسرعة، وعندما انتهى إلى آخر درجة توقف حتى نزل بقية الشياطين، ومع نزول «فهد»، فقد كان آخرَهم، أُغلقت فتحة النفق.

علَّق «بو عمير»: إنه مُجهَّز بطريقة عظيمة.

تقدم «أحمد». لم يكن هناك ضوء؛ فقد كان الظلام يغطي كل شيء. قال: ينبغي ألَّا نضيء أي شيء، بل يجب أن نتقدم في الظلام حتى لا يكشفنا أحد؛ فمن يدري؟ قد تكون هناك حراسة في الطريق.

ثم أضاف بعد لحظة: علينا أن نعتمد على جوانب النفق.

تحرك «أحمد» متقدمًا المجموعة، وكان تقدمهم بطيئًا. مضت ربع ساعة وهم يتقدمون، ثم همس «فهد» الذي كان يمشي خلف «أحمد» مباشرة: إن تقدُّمنا بهذا البطء يحتاج إلى وقت طويل؛ فلا أحد يدري أين ينتهي النفق.

همس «بو عمير» قائلًا: سوف أستخدم جهاز الكشف. إنه يمكن أن يدلنا على أي جسم يعترض الطريق.

وبسرعة أخرج جهازًا صغيرًا، ثم ضغط زرًّا فيه، فانطلقت حزمة أشعة، ثم لمع ضوء أحمر في الجهاز، فقال «بو عمير»: إن أمامنا وعلى بعد مائة متر جسم بشري؛ فقد سجَّل الجهاز درجة حرارة هذا الجسم.

مرَّت لحظة، ثم قال «أحمد»: إذن ينبغي أن نتقدم بحذر؛ فمن يدري؟ ربما تكون نقطة حراسة. أخذوا يتقدمون ببطء أكثر.

فجأةً ظهر ضوء خافت لم يكشف عن شيء، ثم اختفى. همس «أحمد»: إذن هذه هي النقطة، وعلينا أن نكون حذرين.

تقدموا أكثر. فجأةً ظهرت عدة أجسام تتحرك أمامهم. مدَّ «أحمد» يده ولمس يد «فهد» وتحدَّث إليه بلغة اللمس. قال له: أقترح أن يتقدم اثنان فقط حتى يصلا إلى هناك، فإذا كانت هذه الأجسام أعضاء العصابة، فإن الاشتباك معهم سوف يكون ضروريًّا، وفي هذه الحالة ينضم بقية الشياطين.

نقل «فهد» بطريقة اللمس أيضًا ما قاله «أحمد» لـ «بو عمير»، ثم نقله «بو عمير» لـ «مصباح» ... ونقله «مصباح» إلى «خالد». توقف الثلاثة الذين في المؤخرة، وتقدم «أحمد» و«فهد» بطريقة اللمس أيضًا. قال «أحمد» لـ «فهد»: ينبغي أن نزحف حتى لا تظهر أجسامنا.

في هدوء انبطح الاثنان على الأرض، وأخذا يزحفان. كانت الأجسام أمامهما تتحد أكثر. فجأةً قال «فهد» لـ «أحمد»: إن استخدام الإبر المخدرة يمكن أن يفيد الآن؛ فنحن لا نريد صوتًا.

ردَّ «أحمد» بطريقة اللمس: هذا اقتراح جيد.

ثم بسرعة أخرج مسدسه وثبَّت فيه إبرةً مخدرة، ثم أحكم التنشين وضغط الزناد. مرَّت لحظات ثم تهاوى الجسم على الأرض، وقال صوت: ماذا حدث؟

ثم اقترب اثنان من زميلهما، في نفس اللحظة قال «فهد»: الآن تحدَّد عددهم، ونستطيع أن ننتهي منهم جميعًا.

أخرج هو الآخر مسدسه وثبَّت كلٌّ منهما إبرةً مخدرة في مسدسه، ثم في لحظة واحدة أطلقا الإبرتَين. مرَّت دقيقة ثم سقط الاثنان بجوار زميلهما. همس «أحمد»: تقدموا.

أسرع الشياطين جميعًا إلى حيث يرقد الثلاثة ثم قيَّدوهم بالحبال. قال «بو عمير»: إن هذا تصرف صحيح تمامًا.

تقدَّموا بسرعة هذه المرة. كانت أعينهم قد تعوَّدت على الظلام. قال «مصباح»: إن جهاز الكشف قد أفادنا.

أسرع «بو عمير» وأخرج جهاز الكشف ثم ضغط زرًّا فيه. قال بعد لحظة: الآن لا يوجد أحد في الطريق.

ثم قال «أحمد»: ينبغي أن نسرع.

كانوا يقفزون في رشاقة، لكن فجأةً سمعوا صوت اصطدام شيء. التفتوا فإذا بـ «خالد» يشتبك مع أحدهم، وفي لحظة برز ثلاثة آخرون، وقبل أن يتصرَّفوا أيَّ تصرف كان «مصباح» و«بو عمير» و«فهد» قد قفزوا في اتجاههم. أخرج أحدهم خنجرًا وقفز في اتجاه «مصباح». كان يبدو أنه أحكم الطعنة، لكن «مصباح» كان واعيًا تمامًا؛ فقد ألقى نفسه على الأرض بسرعة، وضرب الرجل بقدمه فسقط على الأرض، في نفس اللحظة كان «بو عمير» قد أمسك أحدهم وضغطه ضغطةً قوية جعلت الرجل يئن، لكنه كان قويًّا؛ فقد ضرب «بو عمير». رأى «أحمد» عنف الضربة، فقفز قفزةً واسعة، ثم سدَّد ضربةً قوية إلى الرجل، وكان «بو عمير» قد تخلص منه، فتراجع الرجل ليصطدم بلكمة خرجت من زميل له إلى «خالد» الذي تفاداها، فأصابت الرجل الضخم. كانت المعركة عنيفةً تمامًا، لكن الشياطين استطاعوا أن يكسبوها، وعندما انتهت كان الرجال الأربعة فوق الأرض.

قال «أحمد»: إن هناك فتحةً في الجدار، وهي التي خرجوا منها.

أسرع «بو عمير» وألقى عدة كرات من الدخان في الفتحة. مرَّت لحظات ثم بدأ الدخان يغلِّف المكان. وضع «أحمد» قناعًا خاصًّا على أنفه، ثم قفز إلى الداخل. كانت هناك حجرة صغيرة لم يستطع أن يتبيَّن ملامحها نتيجة الدخان. أخرج من جيبه بطاريةً خاصة، ثم أخذ يمر على أنحاء الغرفة، فلم يجد شيئًا ذا بالٍ. عاد بسرعة إلى حيث الشياطين وقال: ينبغي أن يختفي الدخان حتى لا يتسرَّب ويسبقنا.

أخرج «فهد» كرات أخرى صفيرة، ثم دحرجها في المكان، ولم يمضِ وقت حتى كان الدخان يختفي؛ ذلك لأن الكرات الأخيرة تقوم بامتصاص الدخان. وبسرعة تقدم الشياطين ... وقال «فهد»: لا أظن أن هناك نقطًا أخرى للحراسة.

فردَّ «أحمد»: من يدري؟ ما دامت النقط منحوتةً في جدار النفق.

ثم أضاف: إن علينا أن نتقدَّم بأسرع ما نستطيع قبل أن يظهر شيء جديد.

وانطلق الشياطين وكأنهم في سباق، فجأةً رفع «أحمد» يده، لكنه لم يستطع أن يقف مرةً واحدة، فانزلقت قدماه في بركة ماء، وبصعوبة استطاع أن يتمالك نفسه ويستند إلى الجدار. قال: يبدو أننا نُفاجأ بأشياء لا تخطر لنا على البال.

وقف الشياطين مذهولين أمام المفاجأة، في نفس الوقت كان «أحمد» يفكر في نفسه: هل هي مجرَّد بركة ماء، أو أن الماء وراءه مفاجآت أخرى؟

قطع تفكيره هَمسُ «خالد»: أخشى أن يكون في الماء شيء آخر.

ردَّ «أحمد»: لقد فكَّرت في ذلك فعلًا؛ ولهذا ينبغي أن نتقدَّم في حذر.

قال «بو عمير»: إن المادة اللاصقة التي أحملها يمكن أن تنفعنا الآن؛ فهي تجعلنا نتقدم أسرع بجوار أنها لا تجعل المياه تؤذي أحذيتنا.

وبسرعة أخذ الشياطين يَطلون أحذيتهم بالمادة اللاصقة، وتقدموا، بينما كان «أحمد» يسير في المقدمة.

همس «مصباح»: أخشى أن يكون في الماء أي نوع من الثعابين.

ردَّ «بو عمير»: لا بأس؛ فالمادة اللاصقة سامة أيضًا.

أخذوا يتقدمون في بطء، وكان ارتفاع المياه قليلًا. مرَّت نصف ساعة وشعر فيها الشياطين بالتعب. فجأةً همس «أحمد»: لقد انتهت المياه.

قفز «خالد» في الهواء وهو يقول: لا بأس، نستطيع أن نستمر؛ فقد كنت أجرِّب إن كانت قواي قد انهارت أم لا.

تقدَّموا أكثر. فجأةً تردَّد صوت نباح كلاب. قال «أحمد»: يبدو أننا مقبلون على معركة جديدة.

وقال «مصباح»: المهم ليست المعركة، المهم ألَّا يلفتوا النظر إلينا.

ردَّ «أحمد»: هذا صحيح، ويجب أن نتصرف بسرعة ونحن ما زلنا بعيدين عنهم.

قال «بو عمير»: إن الإبر المخدرة يمكن أن تسكت أصواتهم.

قال «أحمد»: كيف ونحن لا نرى شيئًا؟

قال «بو عمير» مرةً أخرى: إذن كرات الغاز.

ثم أضاف: صحيح أنها سوف تثيرهم في البداية، ومن الجائز أن يلفت النظر، لكن الكلاب سوف تصمت بعد قليل.

قال «أحمد»: لا بأس، علينا أن نجرِّب. إن المعركة قادمة لا شك فيها، وسواء جاءت بالكلاب أو بغيرهم فلا بد أن ندخلها.

أضاف «فهد»: أظن أن الكلاب هي المرحلة الأخيرة في النفق؛ ولذلك فهذه هي معركتنا الأخيرة.

أخرج «بو عمير» عددًا من كرات الغاز، ثم دحرجها بقوة، الواحدة وراء الأخرى، في نفس الوقت وقف الشياطين في انتظار النتيجة.

المعركة الأخيرة!

كانت اللحظة حرجةً تمامًا؛ فهم يظنون أن هذه سوف تكون معركتهم الأخيرة، بجوار أن العقبات التي قابلتهم في الطريق جعلتهم يعرفون أن النفق مليء بالمفاجآت، لكنهم مع ذلك وصلوا إلى يقين أن النفق ليست له امتدادات أخرى؛ ولذلك همس «مصباح»: أظن أننا وصلنا إلى نهاية المطاف.

لم يردَّ أحد، وكان «أحمد» يفكر: هل يمكن أن تكون هذه فعلًا نهاية النفق، أو أنه يؤدي إلى مكان لا يخطر على بالهم؟ وإذا كانت هذه نهايته، فما الذي يجعل «بوجوتي» يحبس نفسه فيه؟ وإذا كان يؤدي إلى شيء آخر، فإن هذا الشيء سوف يكون فوق سطح الأرض، وهذا يعني أنه سيكون مكشوفًا.

ظلَّ «أحمد» مستغرقًا في تفكيره، لكن فجأةً قطع تفكيره نُباح الكلاب. كانت تنبح في قوة وكأنها قد أصيبت بشيء. همس «خالد»: يبدو أن الغاز قد بدأ مفعوله يسري؛ فهذه الثورة تفيد أن الجهاز التنفسي قد تأثَّر بالغاز.

فجأةً بدأ صوت الكلاب يهدأ. همس «فهد»: كيف لا تلفت ثورة الكلاب نظر الحُراس إن كانت هناك حراسة؟!

وجاء الرد سريعًا؛ فقد غمر المكان ضوء قوي جعل الشياطين يرَون كل شيء بوضوح. كان هناك عدد من الرجال وفي أيديهم المسدسات، ويبدو عليهم الغضب. في نفس الوقت، لمح الشياطين بابًا هو الذي خرج منه هؤلاء الرجال. همس «مصباح»: إذن فالنفق يؤدي إلى مكان آخر.

وقال «بو عمير»: أخشى أن تقع أعينهم علينا.

ردَّ «أحمد» بسرعة: إنهم لا يستطيعون رؤيتنا؛ فهم يقفون في الضوء ونحن نقف في الظلام.

ثم قال بعد لحظة: المهم كيف تصل إليهم وفي أيديهم مسدساتهم، والنفق ضيق لا يعطينا فرصة الحركة أو المناورة، فسوف نكون هدفًا سهلًا لهم.

قال «مصباح» بسرعة: إذن علينا بكرات الغاز. إنها سوف تعطينا الفرصة لمهاجمتهم.

ردَّ «بو عمير»: هذا اقتراح جيد! وبسرعة أخرج الشياطين كرات الدخان، ثم دحرجوها بقوة في اتجاه الرجال، وهمس «أحمد»: ينبغي عندما يسعلون أن نهاجمهم قبل أن يفاجئنا شيء جديد.

مرَّت دقائق، وسمع الشياطين أحدهم يقول: إن الكلاب قد أُصيبت بالتسمم.

ردَّ واحد: كيف حدث هذا؟! لقد خرجت من بيوتها منذ قليل.

قال ثالث: لماذا إذن ترقد هكذا بلا حراك؟

قال آخر: ينبغي استدعاء حارسها.

ثم لم يكمل جملته فقد بدأ يسعل، وقال بصعوبة: هناك شيء في الهواء. إنني أشعر باختناق.

فجأةً أخذ الآخرون يسعلون، فهمس «أحمد»: الآن، هذه فرصتنا.

قفز الشياطين في رشاقة. كان «أحمد» يتقدَّمهم، وعندما أصبحت المسافة لا تتجاوز بضع خطوات، قفز «أحمد» إلى أقرب اثنَين، وسدَّد لكلٍّ منهما ضربةً قوية جعلتهما يترنَّحان. في نفس الوقت كان بقية الشياطين قد اشتبكوا مع الآخرين. كانت المعركة سهلةً تمامًا؛ فالرجال لا يستطيعون التصرف؛ لأن الغاز قد شلَّ حركتهم، وفي دقائق كانت المعركة قد انتهت. حمل الشياطين الرجال وسحبوهم إلى منطقة الظلام، ثم توقفوا. كانت الكلاب ترقد على الأرض بلا حراك. سحبوها إلى نفس منطقة الظلام ... ووقف الشياطين لحظة. لم تكن هناك حركة، ولم يكن هناك ما يُشير إلى أن أحدًا موجود.

همس «أحمد»: إنني أشك في هذا الصمت؛ فلا بد أن الآخرين موجودون في الداخل، خصوصًا أن أحدهم قال إنه يجب استدعاء الحارس.

مرَّت لحظة سريعة، ثم قال «أحمد»: علينا أن نتقدم بحذر.

خطا «أحمد» خطوةً في اتجاه الباب، ثم التصق بالجدار، وألقى نظرةً حذرة إلى الداخل ... لم يكن هناك شيء ... كانت صالة صغيرة خالية تمامًا ... وهي التي يصدر منها الضوء في نفس الوقت ... لاحظ فتحةً صغيرة في الجدار وبجوارها باب حديدي ... قال في نفسه: لماذا هذه الفتحة؟ ... وكيف يمكن فتح هذا الباب الحديدي؟

نظر إلى الشياطين ونقل لهم ما رآه. همس «خالد»: ينبغي أن يدخل أحدنا ويكتشف المكان.

أضاف «بو عمير»: نتقدم أنا و«أحمد»، وعليكم بمراقبة الموقف، فربما فاجأنا أحد.

تقدم «أحمد» إلى الداخل وخلفه «بو عمير» ... اتجه أحمد مباشرةً إلى الفتحة الموجودة في الجدار ... وألقى نظرةً سريعة من خلالها ... ظهرت الدهشة على وجهه، وهمس «مصباح»: يبدو أن المكان كله أبواب.

همس «بو عمير»: لعله الباب الأخير.

أخرج الجهاز الصغير، ثم ضغط زرًّا فيه ووجهه إلى الباب. وفي لحظة كان الباب يُفتح. أشار «أحمد» إلى بقية الشياطين فتقدموا، في نفس اللحظة كان «بو عمير» يقفز فجأةً في الهواء، فاختفى عن أعين الشياطين ... قفز «أحمد» خلفه ليرى ما حدث ... كان «بو عمير» قد أمسك بأحد الرجال ... وكمَّم فمه حتى لا يُصدر صوتًا ... كانت هناك صالة واسعة وعدد من الأبواب، في لحظة كان «أحمد» قد سدَّد ضربةً قوية للرجل الذي يُمسك به «بو عمير»، فانحنى الرجل من الألم، وتركه «بو عمير» فجأةً فسقط على الأرض، همس «بو عمير»: كل واحد يقف خلف باب.

انتشر الشياطين بسرعة ... ووقف كلٌّ منهم خلف باب. مرَّت لحظات، ثم جاء صوت يقول: أرسلوا إشارات إلى البوابة؛ فهناك سيارة مُحمَّلة سوف تخرج الآن.

نظر الشياطين إلى بعضهم، وفكَّر «أحمد» بسرعة: إن هذا يعني أن هناك حياةً كاملة في الداخل ... فيها سيارات، وصناعة أيضًا!

فجأةً فُتح أحد الأبواب، وظهر رجلان. كان «خالد» يقف خلف الباب، وبعد أول خطوة منهما كان «خالد» قد فاجأهما بحركة سريعة أوقعتهما على الأرض، وقبل أن ينقضَّ الشياطين عليهما، قال «أحمد» بسرعة: انتظروا!

أسرع إلى أولهما فأمسك بذراعه، ثم جذبه بقوة. كان الرجل ينظر إليه في دهشة. قال «أحمد» بلغة الشياطين: انتهوا من الآخر.

وفي لحظة كان الشياطين ينقلون الرجل خارج الصالة ... أمَّا «أحمد» فقد قال للرجل: بهدوء ودون أن أُضطر لاستخدام العنف أين السيد «بوجوتي»؟

مرَّت لحظة دون أن ينطق الرجل. ضغط «أحمد» على الرجل ضغطةً قوية، فتألم الرجل لكنه أيضًا لم ينطق. دفعه «أحمد» بقوة فاصطدم بالجدار. كان الشياطين قد عادوا ووقفوا يراقبون ... أمسك «أحمد» بالرجل وضربه ضربةً قوية ... فتهاوى الرجل على الأرض بجواره، ورفع وجهه وهو يسأله: أين السيد «بوجوتي»؟

نظر له الرجل نظرةً خائفة، ثم همس: لماذا؟

أسرع «أحمد» يقول: إننا أعضاء عصابة «سادة العالم».

ظهر الفزع على وجه الرجل وقال: إنه في الداخل.

سأل «أحمد»: أين؟ ...

مرَّت لحظة قبل أن يقول الرجل: في المكتب.

سأل «أحمد»: أين يقع المكتب؟

نظر له في خوف وقال: إنني لا أملك أن أقول لك.

ضغط «أحمد» عليه بقوة، ثم قال له في قسوة: إن لم تنطق فسوف تكون هذه نهايتك.

تردَّد الرجل، فضربه «أحمد» مرةً أخرى، وتردَّد ألمه في أنين خافت. قال «أحمد»: لن أسألك بعد الآن، وهذه آخر مرة أُوجِّه إليك فيها السؤال: أين السيد «بوجوتي»؟

تردَّد الرجل مرةً أخرى، فأخرج «أحمد» مسدسه وصوَّبه إليه، فقال الرجل بسرعة: إنه في نهاية الساحة الداخلية على اليمين.

سأل «أحمد»: من في الداخل؟

أجاب الرجل: كل الرجال في الداخل، إنهم يعملون.

نظر «أحمد» إلى «خالد»، فأسرع يُكمِّم الرجل، ثم أخذوه إلى الخارج.

أسرع «أحمد» وألقى نظرةً سريعة على داخل المكان، فامتلأ وجهه بالدهشة. اقترب الشياطين أيضًا ونظروا ثَم.

همس «خالد»: إنني لا أُصدِّق ما أرى. إنه مصنع كامل!

حدَّد «أحمد» بسرعة موقع المكتب، ثم همس: يجب أن نُظلم المكان حتى ننتهي من مهمتنا.

أسرع «بو عمير» وأخرج جهاز الأشعة ثم وجَّهه إلى السقف، وقبل أن يضغط الزر همس «أحمد»: انتظر. ينبغي أن نُرسل إلى رقم «صفر».

أخرج جهاز الإرسال، ثم أرسل رسالةً شفرية بكل التفاصيل، وموقع المكان، ولم تمرَّ دقيقتان حتى جاءه الرد من رقم «صفر» يقول: «أكملوا المغامرة.»

نظر «أحمد» إلى «بو عمير» وأشار إليه، فضغط زر الجهاز. وفجأةً غرق المكان في الظلام، وتعالت الصيحات في كل مكان، لكن الشياطين كانوا قد أخذوا طريقهم بسرعة في اتجاه المكتب، حيث يوجد «بوجوتي» في الظلام. سمع الشياطين صوتًا يقول: أين السيد «بوجوتي»؟

وبسرعة جاءه الرد: إنني هنا.

ابتسم «أحمد»؛ فقد ظهر «بوجوتي» الذي جاء صوته يقول: ماذا حدث؟ وأين المولدات الاحتياطية؟

ضغط «أحمد» يد «بو عمير»، وكانا يقفان قريبَين من «بوجوتي» خلف أحد الأعمدة ... فهم «بو عمير» وضغط زر الجهاز، فعاد الضوء يملأ المكان، وظهر «بوجوتي». كان شابًّا مفتول العضلات ... تبدو على ملامحه القسوة. نظر إلى المكان نظرةً سريعة، ثم اختفى داخل المكتب.

في نفس اللحظة كان «أحمد» و«بو عمير» يقفزان بسرعة خلفه. في نفس الوقت الذي كان فيه الشياطين يراقبون المكان، كان العمل يسير في هدوء. فتح «أحمد» باب المكتب، ودخل مباشرة. نظر له «بوجوتي» وقال: من أنت؟ وماذا تريد؟

لكن «بو عمير» كان قد تصرَّف بسرعة؛ فقد أطلق عليه إبرةً مخدرة جعلته لا يُضيف كلمةً واحدة، وسقط في كرسيه بلا حراك. ابتسم «أحمد» وقال: لقد انتهى كل شيء.

في نفس اللحظة جاءت رسالة شفرية من رقم «صفر» تقول: «إنهم في الطريق.»

فهم «أحمد» الرسالة، ووقف هو و«بو عمير» خلف باب المكتب في انتظار دخول أحد. مرَّ بعض الوقت، ثم سمعا صخبًا في الخارج، وسُمع صوت «خالد» يقول: إنهما في الداخل.

ظهرت الشرطة «الكولومبية»، ووقف الضابط ينظر إلى «أحمد» مندهشًا وهو يردِّد: لا أصدق! كيف أوقعتموه بهذه البساطة؟

كان «بوجوتي» ينام فوق مكتبه، فقال الضابط: لا أدري كيف أشكركم. لقد صنعتم عملًا خطيرًا؛ فلم توقعوا زعيم المافيا فقط، ولكنكم أهديتم إلينا جريمةً كاملة.

أسرع رجال الشرطة يوثقون «بوجوتي»، وقال «بو عمير» مبتسمًا: سوف أفيقه حالًا.

أخرج مسدسه، فقال الضابط بسرعة: نريده حيًّا. إن ذلك سوف يهز أرجاء الدنيا.

فردَّ «أحمد» مبتسمًا: سوف يستيقظ بعد هذه الطلقة.

نظر الجميع إليه في دهشة، بينما أطلق «بو عمير» حقنةً منبهة. مرَّت دقيقة، ثم فتح «بوجوتي» عينَيه. نظر إليهم مندهشًا! قال الضابط: هذا اكتشاف خطير!

ردَّ «أحمد» مبتسمًا: إنه سر.

سجَّل جهاز الاستقبال رسالةً تقول: أهنئكم. عودوا فورًا.

وكانت الرسالة من رقم «صفر». ودَّع «أحمد» رجال الشرطة، في نفس اللحظة كان «بو عمير» يبحث بجهازه عن شيء. فجأةً فُتحت نافذة في سقف المكتب. ظهر ضوء النهار. نظر له الضابط في دهشة، بينما قال «أحمد»: إلى اللقاء.

كان «بوجوتي» ينظر إليهم في دهشة هو الآخر، لكنه لم ينطق بكلمة، وعن طريق النافذة خرج الشياطين، وكانت المفاجأة أنهم خرجوا وسط مزارع ممتدة بلا نهاية.

وقال «أحمد»: لقد كانت توقُّعاتنا صحيحةً مائةً في المائة.

فجأةً سجَّل جهاز الاستقبال رسالةً من رقم «صفر»: «لا تُضيعوا وقتًا؛ فهناك مهمة مكملة ... لمغامرتكم ... انضمُّوا إلى قصر العميل.»

وأخذ الشياطين طريقهم بين المزارع، ثم ظهرت السيارة السوداء. اقتربت منهم وكان يقودها عميل رقم «صفر»، وعندما ركبوها كانوا ينطلقون فعلًا إلى مغامرة جديدة.

هنـــداوي